

الفصل الرابع

الفصل الرابع

الحسد

رأيت من تنمة القول أن أكتب عن الحسد بعد السحر، لأن بينهما ترابط وكلاهما، ناتج عن الحقد والبغض وكرهية الخير، وتمني زوال النعمة ممن أنعم الله عليهم، ولأن الحسد واللجوء إلى السحر يتشران في المجتمعات الجاهلة بحقائق الدين وقيمه ودعوته إلى التألف والتراحم والتسامح، والجهل هنا هو الجهل «بالحلال والحرام» حتى ولو كان الشخص يحمل أعلى الشهادات، وكما أن السحر وما يدور في فلكه حرام، كذلك الحسد؛ لأن الحاسد يتمنى لغيره ما نهى الله ورسوله عنه، فقد قال الله سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾^(١) فالحسد خلق ذميم منع الكفار وبعض أهل الكتاب أن يؤمنوا بسيدنا محمد ﷺ حسداً عليه لأنه فقير في زعمهم، والنبوة لا يصلح لها إلا الأغنياء، ولذلك قالوا كما حكى القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتِينَ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ أَهْمَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا ﴿١٠٢﴾﴾^(٢) وتأمل هذه النظرية الدونية من هؤلاء الكفرة، فلما لم ينفع كلامهم، اتجهوا إلى الحسد، وهو أسلوب الحاقدين الغافلين الناقمين. إن الحاسد ليس في قلبه إيمان بالله لأنه لو كان عنده إيمان لعرف أن الرازق هو الله، وهو يحسد من أعطاه الله من خيره، فهو ناقد على الله، وساخط على المنعم الوهاب الذي يهب ما يشاء ولمن يشاء، ولا يسأل عما يفعل لأنه لأنه حكيم في تصرفه، عادل في حكمه، وصدق الله العظيم القائل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ

(١) سورة البقرة الآية: ١٠٩.

(٢) سورة الزخرف الآيتان: ٣١، ٣٢.

أَلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١) والرسول ﷺ يقول: «... ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد»^(٢). والمؤمن عليه أن يتعرف على الحسد حتى يكون على بينة بالأمر.



(١) سورة آل عمران الآية: ٢٦.

(٢) رواه ابن حبان.

تعريف الحسد

الحسد خلق ذميم - وهو تمنى زوال النعمة من عند أي إنسان حقداً وكراهية عليه وعلى الناس - والحاسد يضر نفسه قبل أن يضر المحسود ولهذا قال القائل:

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فإنار تاكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

والحسد ناتج عن كراهية الناس والحقد عليهم، ثم هو ساخط على قضاء الله غير راض بقضائه في منح بعض الناس نعماً من فضله وإحسانه، ومنع هذه النعمة عن البعض عدلاً منه وفضلاً وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾^(١) لهذا عرفوا الحسد بأنه:

- تمنى زوال النعمة.

- الحقد على المنعم عليه.

- الحاسد والحاقد يتمنى أن تكون النعم عنده وحده.

- يتمنى الموت والمرض للناس جميعاً إلا هو، ولهذا أمرنا الله أن نستعيد من الحاسد، فقال الله سبحانه معلماً لنا: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾^(٢) والرسول ﷺ يقول «دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء - والبغضاء هي الحالقة، أما إني لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»^(٣).

(١) سورة النحل الآية: ٧١.

(٢) سورة الفلق.

(٣) رواه البزار.

دواعي الحسد

الحاسد شخص ناقص على كل شخص، حاقد على الناس كلهم، ليس في قلبه إيمان وهو خسيس خبيث لئيم، قرينه الشيطان، لذلك فالحقارة تلازمه، والندالة في طبعه، وكل ذلك ناتج عن الحسد الذي هو تمني زوال النعمة من عند الغير - والدافع إلى هذا التمني:

بغض الحاسد للمحسود بسبب فضيلة - تظهر عليه - أو منقبة يشكره الناس عليها؛ فيشير ذلك حقدًا في نفس الحاسد، فيتمنى زوال النعمة، لأن الحاسد نفسه ضعيفة، وليس في قلبه رحمة.

أن يظهر من المحسود فضل ينتج عنه مدح من الناس له، وعمل في الخير يشكره الناس على أدائه وحسن العلاقة مع كل الناس، يعجز عنه الحاسد، فيكره ذلك ويشير ذلك حقدًا على المحسود فيحسده، لأن الحاسد يحسد من علا عليه قدرًا، وتقدم عليه اجتماعيًا، والحاسد ينافس المحسود ويحاول أن يتقدم عليه، وليس لديه القدرة فيعجز، وهنا تدب الغيرة في قلبه، ولهذا روي في الأثر «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود»، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما كانت نعمة الله على أحد إلا وجد لها حاسدًا».

إن الحاسد شحيح بخيل لا يسهم في فعل الخير، ولا يساعد أحدًا من الناس في أي شيء، وليست لديه رغبة في المساهمة في معاونة الناس، وهو قد دخل فيمن عناهم الله بقوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا﴾^(١) إن ظهور النعمة على أي إنسان يثير حوله الكلام، وهنا يظهر الحساد، لأن ظهور النعمة يثير الحساد ويحرك نفوسهم المريضة ويظهر الحقد في عيونهم وما تخفى صدورهم أكبر، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿إِن تَمَسَّتْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا

(١) سورة الإسراء الآية: ١٠٠.

يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١﴾ (١) إن الحاسد يموت كمدًا، لما يراه من خير الله ونعمه عند الناس. ولهذا قال معاوية رضي الله عنه: «ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد نفسه قبل أن يصل شره إلى المحمود»، وقال الأصمعي: قلت لأعرابي عمّر: ما أطول عمرك؟ قال: تركت الحسد فعمرت.



هل يتأثر أحد بالحسد؟

نعم هناك ضرر يلحق المحسود من بعض الناس الذين تتقد عيونهم نارًا، وهي نتيجة لما في قلوبهم من حقد وبغض، ولهذا فإن نظراتهم مريبة، فيها حقد وغيره على من ينظرون إليه، ولما عنده من نعم ليست عند الحاسد الذي ليس لحسرتة انتهاء، وليس لما في قلبه شفاء، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾^(١) لأن الحسد داء مدمر وقد قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»^(٢)، ويقول رسول الله ﷺ: «العين حق، العين حق»^(٣)، ويقول عليه الصلاة والسلام «العين حق، تورده الرجل القبر، والجمل القدر، وإن أكثر هلاك أمتي في العين»^(٤)، ويقول عليه الصلاة والسلام: «قد تدخل العين في القبر، وتدخل الجمل القدر»^(٥) إن الحاسد يخرج شرر عينه كأنه رصاص مصوب إلى المحسود، وهذه النظرة الساخطة يغذيها الشيطان، وينفخ في الحاسد، يقوي حقه، ويؤجج نار العداوة في قلبه على المحسود. ولهذا قال رسول الله ﷺ «العين حق، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم»^(٦) ولهذا قال بعض الحكماء «الحسد جرح لا يبرأ، وحسب الحسود ما يلقي» وقال أعرابي: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد، لأنه يرى النعمة عليك، وكان المفروض أن تكون عليه، وقال بعضهم «الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضًا، ولن ينال من الخلق إلا جزعًا وغمًا،

(١) سورة آل عمران الآية: ١١٨.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه البزار.

(٥) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤١١ - دار المعرفة. لبنان.

(٦) رواه الإمام أحمد.

ولا ينال عند الفزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً، إن الحسد هو كراهة النعمة عند الناس، وحب زوالها عن المنعم عليه، والحاسد يفرح بزوال النعمة أياً كان نوعها، ويخيل إليه أنه حقق أمنيته، وما عرف أنه لا يجيق المكر السيئ إلا بأهله، ورسول الله ﷺ يقول: «لا تظهر الشهامة لأخيك فيرحمه الله ويتليك»^(١) وقال ﷺ: «إنه سيصيب أمتي داء الأمم»، قالوا: وما داء الأمم؟ قال: «الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج»^(٢)، ويقول عليه الصلاة والسلام أيضاً: «إن لنعم الله أعداء»، فقيل: ومن هم؟ قال: «الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»^(٣)، والحسد مرض يدمر صاحبه لأنه يضعف بدنه، ويشتت فكره، ويمزق نفسه، ولهذا قال الشاعر:

إني لأرحم حاسدي من حرّما
ضمّت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم
في جنة وقلوبهم في نار

وقال الآخر:

جامل عدوك ما استطعت فإنه
بالرفق يطمع في صلاح الفاسد
واحذر حسودك ما استطعت فإنه
إن نمت عنه فليس عنك براقد
إن الحسود وإن أراك تودداً
منه أضر من العدو الحاقد
ولربما رضي العدو إذا رأى
منك الجميل فصار غير معاند
ورضا الحسود زوال نعمتك التي
أوليتها من طارف أو تالد
فاصبر على غيظ الحسود فناره
ترمي حشاه بالعذاب الخالد

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه الطبراني.

أوما رأيت النار تأكل نفسها حتى تعود إلى الرماد الهامد
تضفو على الحوود نعمة ربه ويذوب من كمد فؤاد الحاسد

وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(١).



(١) رواه الطبراني. والآية من سورة الأحزاب رقم: ٥٨.

همسة إلى الحاسد

نهمس في أذن الحاسد ونقول له: اعلم أيها الحاسد أن الحسد مرض يذيب الجسد، ويفري الكبد، وهو نوع من الكبر وخبث النفس، وحب الرياسة، والتسلط وحب إيذاء الناس، والتلذذ بعذابهم، وحرمانهم، والحاسد يفرح بمصائب الناس ويشمت فيهم، وهو يشترك في كل فتنة تؤجج العداوة بين الناس، قال زكريا نبي الله عليه السلام قال الله تعالى: «الحاسد عدو لنعمتي، متسخط لقضائي، غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي» وقال الحسن البصري رضي الله عنه: «يا بن آدم لم تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه الله لكرامته عليه، فلم تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك، فلم تحسد من مصيره إلى النار» وقد وصف الله لنا أعداءنا وميزهم بعلامات حتى نتعرف عليهم فقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدَ بَدَتِ أَلْبَغْضَاءُ مِنۢ أَقْوَاهِمُ وَمَا تَخْفَىٰ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدَ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣١﴾ هَتَأْتُمْ أَوْلَاءَ مُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٢﴾ إِن تَمَسَّتْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَضَرُّوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١﴾ لهذا كان علاج الحسد عسيرًا لأنه غامض فهو مرض قلبي، والحسد قرين الكفر وحليف الباطل فهو سبب كل قطيعة بين الناس ومنه تتولد العداوات وبه تتفرق الجماعات، وبسببه تتقطع الأرحام؛ فالحاسد خبيث النفس، شحيح بالخير، جشع، يفرح بالمصائب التي تصيب الناس، وهو حليف الشيطان الذي لا يفارقه، فهو له قرين. ولما كان الحاسد متمردًا على قضاء الله فقد قال الله: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣١﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصِدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

(١) سورة آل عمران الآيات: ١١٨ - ١٢٠.

(٢) سورة الزخرف الآيات: ٣٦، ٣٧.

فالحاسد عليه أن يعلم أن مرضه هذا له علاج من:

القرآن الكريم.

استشعار الحاسد أن الله مطلع عليه وهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

يشتعر الخوف من الله الذي سيحاسبه في يوم عسير.

يتذكر موقفه في أرض المحشر وهو على رءوس الأشهاد، وأنه سوف ينكشف حاله؛

فعليه أن يتمثل ذلك ويعمل حساباً لنفسه ويقدر كل ذلك.

ويبدأ في علاج نفسه بنفسه ويتلخص العلاج في:

يستشعر ضعفه وأنه لن يخلصه من ذلك إلا الله، فيطلب منه أن يساعده ويعاونه

ليخلص من هذا المرض.

أن يحافظ على الصلاة ويؤدي الفرائض والنوافل.

يكثر من صيام الاثنين والخميس وغير ذلك من الأيام.

أن يكثر من الاستغفار والصلاة على النبي محمد ﷺ.

أن يمارس ألعاب الرياضة حتى ولو كان المشي.

يقرأ في الكتب الدينية المعروفة مؤلفها، وفي الكتب الثقافية وغير ذلك.

يحضر صلاة الجماعة والجمعة، ويستمع إلى دروس العلم والمواعظ من العلماء المعروفين،

ويصاحبهم ويحاورهم، ويستوضح ما غمض عليه من أمور دينه ودنياه.

يروح عن نفسه باللغو المباح، ويحضر مع زملائه حفلات سمر.

لا ينظر إلى من هو أكثر منه مالاً، ولا من هو أعلى منه سلطة ومركزاً ونفوذاً، وإنما ينظر

إلى من هو أقل منه، ليستشعر نعمة الله عليه، فيشكره ويحمده.

يتخذ أصدقاءه من الناس الذين يذكر الله برؤيتهم، ويعينونه على أداء العبادات، ومساعدة الأيتام والفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات.

يشارك في جمعية خيرية، ويتطوع لأداء عمل خيري له نفع يعود على المجتمع بالخير والرفاهية.

لا ييأس أبدًا، وإنما يمتلئ قلبه بالأمل والرضا والقناعة، ويحمد الله في الرخاء، ويصبر عند البلاء، إن الحسد مرض نفسي خطير له آثار سيئة تلحق الحاسد، ويؤثر ذلك في علاقاته الاجتماعية - والحسد يتولد من الحقد، وهو نتيجة غضب، لأن الغاضب مريض بحب العظمة والكبرياء والغطرسة؛ فيبغض الناس ويحقد عليهم، ويحاول أن ينفس عما في نفسه وعن حقه، بالانتقام من المحسود. إن الحاسد الحاقد الغاضب يحاول أن ينتقم من المحسود، ويدمره ويقضي عليه، ولا تهدأ نفسه إلا إذا رأى النتيجة؛ فإذا لم ير شيئًا مما يتمناه، زادت حسرته ولذا قال الشاعر:

دع الحسود وما يلقاه من كمد
إن لمت ذا حسد نفست كربته
ويقول آخر:

أيا حاسدًا لي على نعمتي
أسأت على الله في حكمه
فأحمد ربي بأن زادني
وسد عليك وجوه الطلب
ويقول الآخر:

إن شئت قتل الحاسدين تعمداً
وبغير سم قاتل وصوارم
عظم تجاه عيونهم محسودهم
من غير مديات عليك ولا قود
وعقاب رب ليس يغفل عن أحد
فتراهمو موتي النفوس مع الحسد

واعلم أيها الحاقد الحاسد أن بعض الصالحين قال: ثلاثة لا تستجاب دعوتهم؛ أكل الحرام - والنمام الذي يغتاب الناس - ومن كان في قلبه غل وحقد وحسد. وقد روي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان - قالوا: يا رسول الله، صدوق اللسان نعرفه. فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد»^(١).



(١) رواه ابن ماجه.

أبها الحاسد

هل لك أن تقلع عن هذه العادة الذميمة، وتتوب إلى الله، وتتخلى عن هذا المرض الخبيث الذي يقتلك ويدمرك قبل أن يدمر المحسود، لأن الحاقد الحاسد يكره نعم الله على الناس، وهذا مرض قبيح، وخصلة مذمومة، والحسد يوقعك في أشياء مردولة أهمها:

هم وغم لا ينقطعان أبدًا حتى تقلع عن الحسد والحقد.

تنزل بالحاسد مصائب لا يؤجر عليها.

مذمة الناس وبغضهم وعدم مجالسته، ولا يقبلون زيارته لهم ويكرهون رؤيته.

الحاسد يحل عليه غضب الرب، ويغلق في وجهه أبواب الخير.

الحاسد لا يوفق إلى عمل طيب لأنه شر، ولا يحيق المكر السعي إلا بأهله.

الحاسد يفضحه الله بين الناس في الدنيا، وعلى رءوس الأشهاد يوم القيامة، مصداقًا لقول رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورات أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف رحله»^(١) لهذا تجد الحاسد في حياته وهو في:

انخفاض منزلته - وانحطاط درجته، ولا يسود أبدًا، وليس له مكانة بين الناس، لذلك

قيل «الحسود لا يسود» وقيل:

لا يعرف الحق من تعلو به الرتب ولا ينال العلامن طبعه الحسد

ندم وحرسة - نار تشتعل في قلب الحاسد، لا يجد لحسرتة انتهاء، وليس لجسده شفاء،

ولا لسقامه دواء، ولذلك قيل «ليس لداء الحسد دواء».

(١) رواه الترمذي.

مقت الناس له ونفورهم منه والابتعاد عنه، يتوارون عن عيونه ويخافون من نظراته، ولذلك قيل «شر الناس من يبغض الناس ويبغضونه»، وقيل «أسد تقاربه خير من حسود ترافقه».

يا أيها الحاسد اتبع تعاليم الدين، واستعمل عقلك، واعرف خلاصك في أن تطهر قلبك بتوبة صادقة، ورجوع إلى الله، لأنك لا تستطيع أن تغلب قدر الله. وقد قال الله سبحانه: ﴿أَمْرٌ مَّحْسُودٌ وَالنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(١). إن الحسد تسخط على قضاء الله في تفضيل بعض الناس على بعض، وهذا التفضيل له حكمة، وهو من فعل الله حسبا جاء في قوله: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾^(٢). إن الإنسان يرضى بما قدر الله له، مع أنه يأخذ بالأسباب، مع ملازمته لأخلاق الإسلام من مراقبة الله. طهارة القلب. عدم الكذب. عدم الافتراء على الغير. ورؤ من يقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِمِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾^(٣) وقول رسول الله ﷺ «ياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. التقوى ها هنا. التقوى ها هنا- وأشار إلى صدره - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله»^(٤).



(١) سورة النساء الآية: ٥٤.

(٢) سورة النحل الآية: ٧١.

(٣) سورة النساء الآية: ٣٢.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

سبب ذم الحسد

لأن الحسد خلق دنيء يفضي بصاحبه إلى الهلاك. والحاسد عامل هدم للأسر، ورمز إفساد وتخريب في المجتمع، وتفريق بين الأحبة، ولأن حرمة الحسد ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة على حرمة، لما له من آثار سيئة، ولأن ضرر الحاسد يتعدى إلى المحيطين بالمحسود وأصدقائه، ولا يتخلق بهذا الخلق إلا كل خيس هاتك للستر، ميت الضمير، ليس عنده ذرة من إيمان.

لذلك تجذ الحاسد شخصاً متكبراً يحتقر غيره ويستصغره وهذا هو شعار الكفرة الذين أصيبوا بعمى البصيرة ولهذا نرى أن أقوام الأنبياء تكبروا وتغطرسوا - فقد قال زعيمهم فرعون لقومه: ﴿أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ﴾^(١) وقال بعضهم: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٢) وقال آخرون: ﴿أَهْتُولَاءٍ مِنْ رَبِّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾^(٣) وقالوا في حق سيدنا محمد ﷺ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرَبَاتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٤) كل هذا من باب الاستخفاف بالأنبياء والأئمة من اتباعهم والتعالي عليهم لذلك تعجبوا من أن يفوز الأنبياء بتلقي الوحي من الله والنبى ما وهو إلا بشر مثلهم فحسدوهم، وأحبوا زوال النبوة عنهم، خوفاً من تفضيل الأنبياء عليهم، ولذلك أعلنوا في وقاحة ورددوا قولهم ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٥) وهذا تكبر نتج عنه الحسد الذي يدخل من يمارسه في زمرة الكافرين الناقمين المعترضين على مشيئة الله سبحانه، ولهذا قال الله جل شأنه: ﴿إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ وَإِنْ

(١) سورة المؤمنون الآية: ٤٧.

(٢) سورة يس الآية: ١٥.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٥٣.

(٤) سورة الزخرف الآية: ٣١.

(٥) سورة الإسراء الآية: ٩٣.

تُصِبُّكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴿١﴾ لقد حاول المشركون أن يرموا النبي محمدًا ﷺ بنظراتهم القاتلة، ولهذا وجه الله نبيه وصفيه سيدنا محمدًا ﷺ إلى الصبر، وأن يحتمل المواقف العنادية من قومه، فإن الضيق يعقبه فرج. ولما غلب المشركون على أمرهم حاولوا أن يزلقوه بأبصارهم، حتى يسقط فزعًا ورعبًا من نظراتهم المصوبة إليه، التي كلها غيظ وحقد وحسد وغل منهم حين يسمعون القرآن يتلى، تنطلق نظراتهم ملتعبة كأنها سهام من عيونهم، وفي ظنهم أن رسول الله ﷺ حين يرى نظراتهم تصوب إليه يفزع ويخاف ويكاد يسقط من هول تلك النظرات لأن العين لها قدرتها الخارقة على التعبير عما في ضمير الناظر وعواطفه، وتعبر عن الحب أو البغض، لأن العين مرآة تنعكس عليها مشاعر الإنسان ويظهر على صفحاتها ما يعتمل بداخل الشخص من رضا وسخط. فالعين إذا سلاح يستعمله الشخص لقتل من يشاء، وفي هذا جاء قول الله: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢).

فالحاسد يرمي المحسود في غفلة منه بنظرة قاتلة مدمرة، لأنها نظرة منطلقة من نفس مريضة، وقلب مشحون بالغل والحقد، ولكي نعرف خطورة العين، علينا أن نعرف أن بعض الحيوانات تستعمل النظرة في أثناء الصراع الدائر بين بعضها، وخذ مثلاً الحية، فلكي تشل حركة من أمامها ترميه بنظرة يتطاير منها الشرر، فإذا تلاقت العيون شلت حركة عدو الحية، وجهد في مكانه، وقد يموت من الخوف قبل أن تصل إليه تلك الحية. إن النظر المشحون بسموم العداوة، له تأثير في المنظور إليه لذلك نصح أنفسنا وغيرنا بأن الشخص عليه أن يكون في عينيه انكسار، وأن يخاف الله، ويظهر قلبه ونفسه من الغل والحقد والحسد، ولهذا كانت نظرة الحاسد مليئة بالغيظ والشتم البذيء، والافتراء الذميمة، وفي نظره كل حقد مذموم، فمن نوى أن يظهر قلبه أعانه الله ووفقه، ومن كان مع الله يجب الخير للناس جميعًا،

(١) سورة آل عمران الآية: ١٢٠.

(٢) سورة القلم الآية: ٥١.

كان الله معه فخير الناس أنفعهم للناس، «لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه»
من كان هكذا فالله يجبه، يدافع عنه ويتولاه ويسعده، ويسر له الأمور ويحفظه.



أول حاسد متكبر

أول من مارس الحسد هو إبليس اللعين، وكانت هذه أول خطيئة وقعت في الملائكة الأعلى، فالله سبحانه عندما خلق آدم وصوره، كانت الملائكة تعجب منه لطول قامته، وحسن صورته، لأن الملائكة لم يكونوا قد رأوا شيئاً مثله، فمر به إبليس اللعين، فنظر إليه بحقد، وقال في نفسه: لأمر ما خلقت، ثم ضربه فإذا هو أجوف، فدخل من فيه وخرج من دبره، ثم قال لمن حوله من الملائكة: هذا خلق أجوف لا يتناسك ولا يثبت، وأسر إبليس عليه اللعنة في نفسه أمراً، وقال: لئن فضلت علي لأعصينك ولئن فضلت عليك لأهلكنك^(١).

فلما نفخ الله الروح في آدم، جمع الملائكة ومعهم إبليس، فأمرهم أن يسجدوا لآدم سجود تحية، فسجدت الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس، وهو ليس من الملائكة، وإنما هو من الجن كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٢) امتنع إبليس عن السجود تكبراً، بسبب ما أضمره في نفسه نحو آدم، ولأنه حسد آدم على هذا الاحتفال العظيم الذي أقيم له. فالمعصية هنا مركبة.. كبر.. وحسد، ولهذا طرد إبليس من رحمة الله، وبدأ ينمي معارفه، ويضع خططه، لإضلال آدم لينفس عن نفسه المتمردة - وطرد إبليس من السماء وحرّم منها، وهبط إلى الأرض ملعوناً، ثم إن آدم ارتكب معصيته؛ حيث نسي العهد وأكل من الشجرة، وأنزل هو الآخر ومعه حواء إلى الأرض، ومن هنا نعلم أن الكبر أول معصية، وأن الحسد قرين الكبر وملازم له، وبما هو معلوم أن الله لا يحب المتكبرين، فقد قال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٣) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ

(١) قصص الأنبياء للنيسابوري ص ٢٢.

(٢) سورة الكهف الآية: ٥٠.

أَلْحَمِيرِ»^(١) وقوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٢) وفي حديث قدسي رواه رسول الله ﷺ عن رب العزة «يقول الله تعالى: الكبرياء رداي، والعظمة إزاراي، فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي»^(٣) ويقول عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنًا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر، الحق وغمط الناس»^(٤) ومر بالحسن بن علي رضي الله عنهما شاب عليه بزة حسنة، فدعاه فقال له «أيها الشاب أراك معجبًا بشبابك محبًا لشمائلك، وكأني بالقبر غدًا وقد وارى بدنك، ووجدت عملك، ولا شفيع معك، ويحك داو قلبك، فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم»، وقد نظر مطرف بن عبد الله إلى المهلب بن أبي صفرة وهو يتبختر في جبة خز، ويتعالى على الناس. فقال له: هذه مشية يبغضها الله ورسوله، فقال له المهلب: ألا تعرفني؟ فقال له: أنا أعرفك فأنت أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قدرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة، فانفض المهلب وترك مشيته وتواضع «وكان المهلب ملكًا» ولنا أن نتأمل ما حدث من سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه، كان أميرًا على المدائن، وكان يلبس ملابس أعجمية جميلة جدًا، وبينما هو يسير في الطريق نادى عليه مناد وقال: احمل هذا، وكان يحسبه حمالًا، فحمل سلمان متاع الرجل على رقبته، فرآه الناس فعرفوه، فقالوا لصاحب الشيء: إنه الأمير، فتقدم الرجل من سلمان وأراد أن يحيط عنه ما حمله. فقال سلمان: لا، حتى أبلغ المكان المتفق عليه، وهذا تواضع تعلمه سلمان في مدرسة النبوة.



(١) سورة لقمان الآيتان: ١٨ - ١٩.

(٢) سورة غافر الآية: ٣٥.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي.

الكبر

ولما كنا قد تكلمنا عن الحسد، وأساسه الكبر، فعلياً أن نعرفه، حتى نكون على بينة من الأمر، فقد قالوا عن الكبر بأنه هو التعالي والتباهي والاستعلاء والشموخ بالأنف، والنظر إلى الناس نظرة دونية، ويعطي المتكبر نفسه أكثر مما تستحق، ويخيل إليه أنه وحده الذي يفهم، وغيره لا شيء. والمتكبر لا يسمع لنصح ناصح، لأنه معجب بنفسه، يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين. والكبر يوغر صدور الناس، ويلهي عن التألف، ولهذا قال «أردشير بن بابك» ما تكبر إلا أحمق، لا يلدي صاحبه أين يذهب به، فيصرفه ذلك إلى الكبر الذي هو الحمق، والشعور بالنقص، ووضاعة النفس، والجهل «ولهذا قال ابن المعتز» لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي الكمال، استعانوا بالكبر ليعظم شأنهم، ويرفع قدرهم، وليس بحاصل أبداً، المتكبر معجب بنفسه لا يستمع لنصح غيره، ويظهر محاسنه، ويخفي عيوبه، في زعمه أن الناس لا تعرف ذلك، والحقيقة أن كل شيء يظهر، وإن كان في السر، ويعرفه الناس، فقد قال الشاعر:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفي على الناس تُعلم

والإعجاب ينشأ نتيجة مدح الناس للشخص وإطرائهم له، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «المدح ذبح» وقال بعض الحكماء: من رضي أن يُمدح بما ليس فيه فقد أمكن الساخر منه «وفياً أنزل الله من الكتب السابقة» عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيه، كيف يفرح، وعجبت لمن قيل فيه الشر وهو فيه، كيف يغضب، وقد قال الشاعر:

يا جاهلاً غره إفراط مادحه لا يغلبن جهل من أطراك علمه بك

أنتى وقال بلا علم أحاط به وأنت أعلم بالمحصول من ريبك

وحكى الأصمعي أن أبا بكر رضي الله عنه كان إذا مُدِح قال: «اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يقولون ويظنون، واغفر لي ما لا يعلمون» ومشى قوم خلف ابن مسعود فقال: ارجعوا فإنها زلة للتابع، وفتنة للمتبع.

وقال أبو بكر رضي الله عنه: «لا يحقرن أحد أحدًا من المسلمين، فإن صغير المسلمين عند الله كبير» وقال الحسن البصري «ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط، إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك، قلّ أو كثر. ووقف النعمان بن بشير يومًا على المنبر، فقال: «إن للشيطان مصالي وفخوخًا وإن مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله، والفخر بعباءة الله، والكبر على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله» إن الإعجاب يحمل الشخص على الاستبداد بالرأي، وترك مشورة الرجال، وقال بعض الحكماء: «ما رأيت متكبرًا إلا تحول داؤه في - يعني - «أني أتكبر عليه» ولهذا قالوا: الكبر على أهل الكبر صدقة. وقال يحيى بن خالد البرمكي «أحسن ما وجدت في طراز الحكم من البلاغة، البخل والجهل مع التواضع، خير من السخاء والعلم مع الكبر» وقديماً قال الشاعر:

يا مظهر الكبر إعجابًا بصورتك	انظر خلاك فإن النتن تتريب
لو فكر الناس فيما في بطونهم	ما استشر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن آدم مثل الراس مكرمة	بأربع هو في الأقدار مضروب
أنف يسيل وأذن ريجها سهك	والعين مرفضة والثغر ملعوب
يا بن التراب ومأكول التراب غدًا	أقصر فإنك مأكول ومشروب

إن الشخص المعجب بصورته المتكبر، لو تصور ما فطر عليه، لخفض جناحه وتواضع، ولذلك قال الأحنف بن قيس «عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين، كيف يتكبر».

من الطرائف:

إن الحجاج بن يوسف الثقفي لما تولى العراق سأله أحد أصحابه «كيف وجدت منزلك بالعراق؟ قال: خير منزل. قيل له: وما تمنى؟ قال: تمنيت لو أن الله أمكنني من أربعة أفراد كنت تقربت بدمائهم إلى الله. قيل: من هم؟ قال:

الأول «مقاتل بن مسمع» والي سجستان، أتاه الناس يهتونه فأعطاهم أموال بيت المال، فلما عزل، دخل مسجد البصرة فبسط الناس له أرديتهم، فمشى عليها، وقال لرجل ياشيه «مثل هذا فليعمل العاملون».

الثاني «عبيد الله بن زياد بن ظبيان بن مطر التيمي» خوَّف أهل البصرة امرأة فخطب خطبة أوجز فيها. فنادى ناس من أعراض المسجد: أكثر الله فينا مثلك، فرد عليهم «لقد كلفتم الله شططا».

الثالث «معبد بن زرارة» كان ذات يوم جالسًا في طريق فمرت به امرأة فقالت: يا عبد الله، كيف الطريق إلى موضع كذا؟ فقال لها: أهتيني، أمثلي يكون عبدًا لله؟

الرابع «أبو شمال الأسدي» ضلت راحلته منه، بحث عنها فلم يجدها، فقال والله إن لم يرد إلي راحلتي لا صليت له صلاة أبدًا، ثم وجدها، فقالوا: قد رد عليك راحلتك فيها صل، فقال: إن يميني يمين مُصِرّ

فانظر إلى هؤلاء الأربعة وهم عينات من الناس كيف أفضى بهم العجب بأنفسهم، والتكبر أوصلهم إلى حمق وغباء فصاروا عبرة أمام الناس، ودلوا على غباثتهم بكلامهم وأفعالهم بسبب الكبر والغطرسة، وسوف ينكل بهم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، ويقال لأحدهم وهو يسحب على وجهه في نار جهنم «ذق إنك أنت العزيز الكريم» ولأمثالهم يقول الشاعر:

عجبت من معجب بصورته	وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غد بعد حن صورته	يصير في اللحد جيفة قذرة
وهو على شموخه وتكبره	ما بين ثوبيه يحمل العذرة

إن الإنسان المتكبر إن كان متكبرًا بسبب ما يتمتع به من جمال، فليعلم أن المرأة هي التي تتباهى بجهاها، والرجل والمرأة كلاهما لا بد أن ينظر إلى ما يحمله في جسده، وفي ذات نفسه،

ليخلق بالتواضع، وينزل من كبريائه، فهو كما يقول أبو حامد الغزالي: «ومها نظر الإنسان إلى باطنه، رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فإنه وكل به الأقدار في جميع أجزائه: الرجيع في أمعائه - والبول في مثانته - والمخاط في أنفه - والبزاق في فيه - والوسخ في أذنيه - والدم في عروقه - والصدید تحت بشرته - والصنان تحت إبطيه - يغسل الغائط كل يوم دفعة أو دفتين - ويتردد كل يوم على الخلاء مرة أو مرتين، ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره، فضلاً عن أن يمسه بيده»^(١) ثم يقول في نفس الصفحة «كيف ولو كان جماله باقياً، ومن هذه القبائح خالياً، لكان يجب أن لا يتكبر، لأن ما يحمله لا يستطيع أن يتخلى عنه، والقبيح الذي يحمله كذلك - جمال الشخص الذي يتباهى به لا بقاء له، بل يمكن أن يزول بمرض جذري، أو قرحة معدة، أو أسباب أمراض أخرى، فعلى أي شيء يتكبر الإنسان، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٢) الصعر: ميل الخد كبراً وتعالياً - والمرح: عجب الإنسان بنفسه، مع خفة وطيش عن زهو وتيه. وصعر الخد يكون من مشاعر التعالي، والتبختر في المشي يكون عن عجب وزهو، والشخص الذي بهذه الصورة يكرهه الناس ويتعدون عنه، وبهذا يعزل المتكبر نفسه عن الناس؛ فيشعر بالجفاء وابتعاد الأشخاص عنه، ومن هنا تتولد العداوة والبغضاء في نفسه على الناس. إن الكبر مفتاح كل رذيلة، وباب كل شر وضلال، لهذا قال الله سبحانه: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسِيلِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(٣) بيان لما عليه المتكبر من شر، حيث يخرج في مشيته عما اعتاد الناس عليه في مشيتهم، فيسرع أو يبطئ لغير سبب، لكنه يريد أن يكون على غير ما تألف عليه الناس، ورفع الصوت من غير سبب، هو استخفاف بمن حوله، وخروج على مألوف الجماعة، ثم هو إلفات النظر إليه، بسبب هذا الصوت المدوي، الذي يقطع على الناس حديثهم؛ لذلك شبهه الله بصوت الحمار،

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج ٣ - ط / دار إحياء الكتاب العربية ص ٣٥١، ٣٥٢.

(٢) سورة لقمان الآية: ١٨.

(٣) سورة لقمان الآية: ١٩.

الذي يطلق صوته بدون داع، ولم تكن يا بن آدم بهذا المنظر، وهو كما يقول أحد الناس وكان يخطب في الناس، فقال: ابن آدم كنت في أول أمرك قد خلقت من مجرى البول، ثم من الأقدار الشنيعة - من النطفة ودم الحيض - ثم خرجت من مجرى البول مرتين. إذا تأمل الإنسان ذلك، لم يبق له سبب لأن يتكبر، لأن أضراره كثيرة في الدنيا والآخرة. إن أي إنسان يجوع ويعطش ويسقم ويمرض، ويغفل ويسهو، ويجزن ويجزع، ويصاب بالقلق والتوتر، فكيف يتكبر وهذا شأنه؟! وعلى الإنسان أن يدرك أن حياته ومصيره بيد الله، فهو في حاجة إلى إرضاء الله وعفوه ومعاونته ومساعدته، وأن يكون مع الناس بالتعاون والتسامح والحب والتفاهم، وكل ما من شأنه أن يوحد الصف ويقوي الجماعة. والإنسان عليه أن يتطلع إلى السماء بحسن السعي على الأرض، ويمشي على الأرض بخلق السماء. إن الكبر له آثار سيئة على النفس، ولا يتواضع الإنسان إلا إذا ذهبت آثار الكبر من قلبه، ولك أن تتأمل في شخصية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين، خرج من بيته في وقت شديد الحر، وقد وضع رداءه على رأسه، فمر به غلام يركب حمارًا فقال له: يا غلام احملني معك؟ فوثب الغلام من على الحمار، وقال: يا أمير المؤمنين اركب، فقال: لا أركب حتى تترك أنت، وأركب أنا خلفك، أتريد أن أركب أنا على المكان الوطيء، وتترك أنت في الموضع الخشن؟ فركب الغلام وركب عمر خلفه والناس ينظرون إليه^(١) وهذا تواضع من عمر لأنه يركب مع صاحب المطية وقد استأذنه. إن الله حرم الكبر، لأنه قرين الحسد، وحبب إلينا التواضع، فنبهنا إلى ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»^(٣).

(١) المنتخب للدينوري ج ٣ ص ٤١٧.

(٢) الفرقان الآية: ٦٣.

(٣) رواه أبو داود.

ويقول الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كاللدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضع

ويقول الآخر:

إن شئت أن تزداد قدرًا ورفعة فلين وتواضع واترك الكبر والعجب

إن الكبر عمل من أعمال الشيطان، والحسد قرينه، والشيطان له أساليبه في تزيين ذلك للناس، حتى يخذلهم عن العبادة، لأن الشيطان للإنسان عدو مبين، فحذر من الكبر، والعجب بالنفس، والاستخفاف بالآخرين، واحتقارهم والتعالي عليهم، كما قال المشركون لرسول الله ﷺ استهزاءً وتعالياً: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝﴾^(١) وكما قال إبليس اللعين عندما سئل من الله سبحانه: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۚ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝﴾^(٢) فلنترك الكبر وتخلص منه، حتى لا نكون من الحاسدين.



(١) سورة الفرقان الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٢.

أول حاسد على الأرض

الحسد أول ذنب عُصِيَّ الله به في السماء، لأن إبليس اللعين حسد آدم عليه السلام. وأول ذنب عُصِيَّ الله به في الأرض، حيث حسد ابن آدم أخاه فقتله. ومن لحظتها وكل ذي نعمة محسود، لذلك قيل «استعينوا على قضاء حوائجكم بكتهان السر، فإن كل ذي نعمة محسود «وقيل» ما كانت نعمة الله عند أحد إلا وجد لها حاسداً» أما ما كان من أمر ولدي آدم، فإن الله سبحانه قد أمر آدم أن يتزوج كل ذكر من أولاده توأم أخيه الأنثى، وأن لا يتزوج الأخت التي ولدت معه. وقد قال المفسرون: إن توأم قابيل كانت أجمل من توأم هابيل، فأراد قابيل أن يتزوج أخته التي ولدت معه لأنها جميلة، أما هابيل فقد رضي برأي أبيه لعلمه بأنه وحي من الله، ودب الشقاق في أول أسرة على وجه الأرض، وفي النهاية وجه آدم ولديه أن يتقدم كل منهما بقربان إلى الله، فمن قبل قربانه يتزوج هذه الفتاة الجميلة، وتقدما فعلا، فتقبل الله من هابيل، ولم يتقبل من قابيل الذي رفض أن ينقاد لرأي السماء، بعد أن رفض رأي أبيه. ولعب الشيطان بعقل قابيل، وسول له أن يقتل أخاه لكي يخلو له الجو ويقطع اليد التي تنازعه في الفتاة التي يريد لها لنفسه، ووسوس الشيطان لقابيل بهذا - وحتى يضع أمر الله وأمر أبيه أمام أمر واقع - وهكذا نجد أن كل مجرم يتأول في شرع الله بما يتفق مع هواه، فيبدل ويغير حسب إشباع رغباته وشهوته، ويكون ذلك عن طريق الشيطان وإغوائه. وهكذا توعد قابيل هابيل وكان هابيل، طيب القلب يقول لأخيه: ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ أَنَّهُ رُبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (١) وقد غطى الحسد على عقل قابيل، وطمس على بصيرته، ولهذا نشب الصراع الدامي وانطلقت شرارة الحسد، الذي هو العلة الممكنة من النفوس الهزيلة، وسال دم هابيل بيد الأخ الحسود، الذي لم ير في كلمات أخيه ما يرقق قلبه، ويهدئ نفسه، ولم يزد له لين أخيه إلا عناداً، ونصحته إلا جفاءً، وهكذا يكون

(١) سورة المائدة الآيتان: ٢٨، ٢٩.

الحاسد الذي يصر على حسده، ولو كان في ذلك هلاكه وسوء مصيره. إن الشخص الحسود يمتلئ صدره نقمة على الناس، ويبسط لسانه للنيل من أعراضهم، ويمد يده بالأذى لكل من تلبسه نعمة من نعم الله؛ فالحاسد يلقي نفسه إلى التهلكة، ويخسر الدنيا والآخرة، ولهذا قال الله عن القاتل: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١) إن الحسد أخط مرتبة، لأنه يجعل الشخص وكأنه من عالم الحيوان، فهو ركب موجة الضلال، وغلبه الهوى، فأعمى بصيرته، لهذا تجد قابيل بعد أن قتل أخاه يصيح ويقول: ﴿يَوَيْلَ لِيَ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾^(٢) هكذا يقول القاتل الحاسد من فم يقطر مرارة، ومن قلب يفيض حسرة وندماً، لأنه رأى نفسه أحقر من الغراب الذي أصبح أستاذًا للقاتل الفاشل، الذي اتخذ التصفية الجسدية أسلوبًا له. إن الحسد مرض يقطع أواصر المودة، ويفسد علاقة الأخوة، ويؤجج العداوة في الصدور والبغض في النفوس، ولهذا حرمه الإسلام ونهى عنه سيدنا محمد ﷺ.



(١) سورة المائدة الآية: ٣٠.

(٢) سورة المائدة الآية: ٣١.

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، هكذا يقول الواقع، ولقد ذكروا أن رجلاً من عامة الناس كان يغشى مجالس أحد الملوك، وهو شخصية لا يؤبه لها، لكن هذا الرجل لفت نظر الملك إليه، بحسن سمته وصواب رأيه، فقربه الملك منه، وأصبح من جلسائه المقربين وندمائه الأذنين، فحسده أحد الأشخاص، وبدأ يسعى بالوشاية ضد هذا الرجل إلى الملك، ويقول له: هذا الرجل الذي قربته منك يتكلم عنك بسوء الكلام، يقول عنك أنك أبخر، فقال الملك: كيف يصح عندي ما تقول؟ فقال الرجل للملك: قربه منك غداً وسوف ترى ما تتحقق منه أني صادق - وجه الرجل الدعوة لهذا الرجل لتناول الطعام عنده غداً وقبل الدعوة قبل أن يذهب إلى الملك، وأطعمه الرجل ثومًا وبصلًا، فلما ذهب الرجل لمقابلة الملك وقربه وأدناه وأحسن لقاءه، وضع الرجل يده على فمه مخافة أن يشم الملك رائحة الثوم والبصل الذي أطعمه الرجل إياه، فقال الملك في نفسه: إن كلام الرجل صحيح، لأن الرجل وضع يده على فمه لأنني في زعمه أبخر، وبدأ الملك يفكر في الخلاص منه، وكان لا يكتب بخط يده إلا بجائزة أو صلة، فكتب بخط يده إلى عامل من عماله، وقال له: إذا آتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلوده تبنًا وابعثه إليّ، فأخذ الكتاب من الملك، فقابله الرجل الذي وشى به، ونظر إلى الكتاب فوجده بخط الملك، فعرف أنه أمر له بصلة أو مكافأة، فقال: هب لي هذا الكتاب، وكان الرجل طيبًا فوهبه له، فذهب الرجل وهو فرحان جدًا ومضى به إلى العامل الذي قرأه وقال: سمعًا وطاعة للملك، ونادى على السيف وطلب أن يقطع رقبة هذا الشخص واملخه ويحشو جلوده تبنًا حتى يبعث به إلى الملك كطلبه، ففزع الرجل وقال: هذا الخطاب ليس لي.. ارحمني، فقال العامل: ليس لطلب الملك رفض ولا مراجعة، فقال: أمهلوني حتى أرجع إلى الملك، فرفضوا وقطعوا رقبته ونفذوا أمر الملك. بعد أيام وصل جلد الرجل محشوا تبنًا فهدأت نفسه، وبعد لحظات دخل الرجل الطيب إلى مجلس الملك فتعجب الملك وسأل الرجل ماذا فعلت برسالتني التي حملتها مني إلى عامل مكان كذا؟ فقال الرجل:

وأنا خارج من عندك قابلني فلان واستوهبني خطابك فوهبته له.. فقال الملك: ماذا تقول عني للناس، أنا أبخر؟ قال ما قلت هذا أبداً، وما قلت عنك إلا كل خير، قال الملك: أتذكر يوم كنت تكلمني عن قرب، ووضعت يدك على فمك؟ قال نعم. قال لم فعلت هذا؟ قال: إن الرجل الذي استوهبني الخطاب أطعمني ثوماً وبصلاً فخفت أن تؤذيك هذه الرائحة الكريهة، فقال الملك: ادن مني دائماً وكفى المسيء، ما لحق به، فلا يحيق المكر السيء إلا بأهله.



سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار.

من حسد الناس بدأ بمضرة نفسه.

مصادقة الكرام غنيمة - ومصادقة اللئام ندامة.

لن تسلم من الناس حتى يسلموا منك.

رأس مال الحليم الصمت ووجهته إظهار الغضب.

إذا رأيت من يحسدك، وتريد أن تسلم منه، فغم عليه أمورك.

الحاسد يفرح بذلتك، ويسفه رأيك، ويعيب صوابك.

الخير في أهله غريب - والشر من أهله قريب.

من عيّر غيره بشيء ابتلي به.

ليس مع الحسد سرور، ولا مع الحرص راحة، ولا مع السخط غناء.

الحاسد يظهر ودًا في كلامه، وبغضًا في علاقاته بالناس، فهو في الظاهر صديق وفي

الحقيقة عدو لدود.

كفى أدبًا لنفسك ما كرهته من قول أو عمل غيرك.

لا شرف للإنسان مع سوء أدب، ولا مع شطح وبخل.

الشقي من جمع لغيره وضيق على نفسه.

الحكيم يتألم بحديث الجاهل، والجاهل يتألم بسماع الحكمة.

سب الجاهل للحكماء والعلماء تشریف لهم عند أهل الذوق والمعرفة.

صديق الرجل عقله، وعدوه حمقه.

الكريم لا يستحي من إعطاء القليل.

الحسود من الهم كساقى السم، فإن سرى سمه في جسد إنسان زال عنه همه.



أقوال

من تكبر على الناس ذل، ومن أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن سل سيف الغدر قتل به، ومن حفر لأخيه حفرة وقع فيها، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن خالط العلماء وجالسهم وقر، ومن خالط السفهاء والأندال حُقر، ومن دخل مداخل السوء وارتاد الأماكن السيئة اتهم ولا يلوم إلا نفسه.

ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه.

خير ميراث يورثه الآباء للأبناء الأدب والأخلاق النبيلة.

وحسن الخلق خير قرين للإنسان.

كم من إنسان يستقبل يوماً لا يتكمله ويتنظر غداً وليس من أهله.

لو أبصرتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

العاقل يرغب في الأدب، وإن فاته لزم الصمت.

إذا جهل عليك الأحمق فالبس له سلاح الرفق وسعة الصدر، وردد في نفسك: ﴿وَعِبَادُ

الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١).



(١) سورة الفرقان الآية: ٦٣.

الحسد المحمود

الحسد المذموم والمحرم هو تمنى زوال النعمة من عند الغير، وهو مرض نفسي، وله آثار سيئة، تؤثر في العلاقات الاجتماعية بين الناس، وهذا الحسد مذموم ملعون صاحبه، وهو حرام.

أما الحسد المحمود، فهو أن الإنسان يتمنى أن يكون له مال مثل فلان الغني، ينفق منه على الفقراء والأرامل واليتامى، أو يتمنى الإنسان أن يكون عالماً مثل إمام المسجد «الفلاني»، ليعظ الناس ويصلي في المسجد .. وهكذا، فالشخص يطلق عليه حاسد، لكنه في الحقيقة لا يكره النعمة، ولا يتمنى زوالها من عند غيره، بل زيادتها له، ويسأل الله أن يعطيه مثله، لينفق منها في سبيل الله، وأنت عندما تشتهي ذلك وتتمناه، فإن ذلك يسمى غبطة، ويسمى منافسة، وفي ذلك جاء قول الله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(١) وقد قال القائل:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرهم غيظاً بما يجد

إن الحسد المحمود هو غبطة شخص على ما هو فيه من عمل صالح، وقول الخير، والصلح بين الناس، فأنت تمنى أن تكون مثله مع الدعاء له بالزيادة والتوفيق. إن الشخص يتمنى أن ينال مثل هذه النعمة أو العز أو الجاه، ليعمل في ذلك بالخير ولصالح الناس، وفي بيان هذا جاء قول رسول الله ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه... ما نقص مال من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر».. ثم قال: «إنها الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم أن الله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما

(١) سورة المطففين الآية: ٢٦.

سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يخبط في ماله بغير علم، ولا يتقي فيه ربه، ولا يصل رحمه، ولا يعلم الله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي علماً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيتي، فوزرهما سواء»^(١) إن المنافسة مأخوذة من التسابق. والذي يدل على المنافسة قول الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾^(٢) وقد صرح رسول الله ﷺ بأن المنافسة في فعل الخير شيء متحب، فقال عليه الصلاة والسلام «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس»^(٣). إن المنافسة ليست حراماً بشرط أن لا تعتدي على غيرك، وقد يستعمل لفظ الحسد بدلا من المنافسة، ولا شيء في ذلك، ما دام القلب ليس فيه غل ولا حقد ولا كبر ولا تمني زوال النعمة من عند الغير، وإنما هو التمني لدوام النعمة عند الغير، وأن يعطيه الله مثلها، ليعمل بعمله الطيب، لأن المنافسة هي طلب التشبه بالأفضل، من غير إدخال ضرر على أحد؛ فالمنافسة فضيلة، لأنها داعية إلى اكتساب الفضائل والافتداء بأخيار الناس وأفاضلهم، وقد جاء في الأثر «المؤمن يغبط والمنافق يحسد» وفي آخر: «استعينوا على قضاء الحوائج بسترها، فإن كل ذي نعمة محسود»، «وإذا رأيت من يحسدك، وسرك أن تسلم منه فعم عليه أمرك». إن المنافسة هي أن يتشبه الشخص بمن يعملون الخير، ويقومون بالصلاح بين الناس، ويسهمون بأموالهم في رفع مستوى المعيشة للناس، ويساهمون في العمل الاجتماعي الخيري. إن المنافسة هي اكتساب الفضائل، والافتداء بأهل الخير والفضل والجلود والكرم والتسامح، والتعايش مع الناس بروح المحبة والتآلف والتعاون؛ فإذا حسد الإنسان أهل الفضل فهو يغبطهم ويتمنى أن يكون مثلهم، مع الدعاء لهم بالزيادة؛ فهذا حسد محمود، أما الحسد المذموم، فهو كراهة النعمة، وتمني زوالها عن المنعم عليه. ونؤكد أنه لا حجر في الأسماء، إذا فهم المعنى. وقد جاء في الأثر: «المؤمن يغبط والمنافق يحسد» ولهذا قال الرسول

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢١.

(٣) متفق عليه.

«لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس»^(١).

إن المنافسة والغبطة شيء يرضاه الله من العبد، مع سلامة القلب، فإذا لم أتل ما عند صاحب المال أو العالم، فأنا أدعو لهم، وأتمنى دوام النعمة عندهم، مع إرادة اللحوق بهم.



(١) سبق تخريجه.

الحاسد ينشر فضائل المحسود

قد يكون الحسد سبباً لإظهار فضل المحسود، وبسبب حسده ينبه الحاسد على فضائل للمحسود. إن كثيراً من الناس يعملون الخير سراً ولا يجنون أن يبوحوا به، ولا يعلم به أي شخص، مثل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد حدث بعد أن تولى الخلافة أنه كان يتفقد الأحوال ليلاً وحده فوجد منطقة عشوائية خارج المدينة فطرق على عشة صغيرة، فسمع صوت امرأة متحرج تقول «ادخل أيها الطارق» فدخل فإذا امرأة مريضة مكفوفة البصر، فسألها عن أحوالها قالت: أنا جائعة مريضة، ولا أحد يدخل علي، وهنا شمر أبو بكر ملابسه وأخذ يكنس الحجر وأخذ ما بها من فضلات ورمى بها في الصحراء وحمل الإناء على كتفه وملاه ماء من الخارج، المهم أنه أطعم المرأة وسقاها ونظف المكان وغسل الملابس، ثم توجه إلى صلاة الفجر، وقد استمر على ذلك ما يقرب من سنة، كل ليلة يقوم بهذا العمل. وفي أحد الأيام لاحظ عمر بن الخطاب هذه العشة، فذهب إليها فوجد المرأة حجرتها نظيفة، ملابسها مغسولة، طعامها مصنوع، فسألها من يقوم لك بهذا العمل يا أمأه؟؟ قالت: لا أدري، غير أنه يأتي رجل كل ليلة فيقوم بهذا العمل، وكلما سألته عن اسمه قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ويأمرني أن أسبح الله وأشكره فهو الحلیم الستار الكريم. تعجب عمر وأضمر في نفسه أن يراقب المكان ليعرف هذا الشخص، وحضر قبيل الفجر وسأل المرأة قالت: حضر وأنجز العمل وانصرف، ثم في ليلة جاء مبكراً فوجده قد أنجز مهمته، وفي الليلة التي بعدها صلى العشاء واتجه إلى المكان يراقبه فوجد شخصاً يلتف بعباءته ودخل يعمل، وإذا بعمر بن الخطاب يقول: من أنت أيها الرجل؟ كان أبو بكر رضي الله عنه يلتف بشيء على رأسه وقد أخفى وجهه، فلما تقدم منه عمر عرفه وصاح وقال: أبو بكر.. يا سبحان الله، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم! ولم تكلف أحداً غيرك؟؟ فقال: يا عمر هذه مسئوليتي، وأنا سأحاسب عليها أمام الله: أخذ عمر المكنسة من أبي بكر وقال: هذه مسئوليتي وأنا المسئول عنها - وهكذا يكون العمل الذي يغبط الإنسان من يقوم به، وهذا

عمل سري، أما العلني فهو كقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم أن تولى مقاليد الإمارة وأصبح الحاكم عندما صاح بأعلى صوته: «والله لو عثرت بغلة في العراق لوجدتني مسئولاً عنها أمام الله يوم القيامة» وسيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسيدنا عمر رضي الله عنه على حق فقد قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَأَصْدَقْتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١) ويقول الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (٢) فالذي يعمل سرا يأتي الحاسد فينشر فضله وينبه الأذهان إلى عظيم عمله ومروءته وهمته وعطائه، ولهذا قال الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود
لولا التخوف للعواقب لم يزل
للحاسد النعمى على المحسود

العلاج

إن الطيب له علم يطب به
ما دام في أجل الإنسان تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام مدته
حار الطيب وخاتته العقاقير

ويقول الآخر:

لكل داء دواء يستطب به
إلا الحماقة أعميت من يداويها

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «العين حق، ولو كان شيء سابق لقد سبقت العين» (٣) ويقول عليه الصلاة والسلام «لا رقية إلا من عين أو حمة» (٤) ويقول عليه الصلاة والسلام «العين حق

(١) سورة البقرة الآية: ٢٧١.

(٢) سورة الرعد الآية: ١٠.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم وابن ماجه.

حتى لتورد الرجل القبر وتدخل الجمل القدر»^(١) لكل هذا نبهنا الإسلام إلى علاج الحسد، وأول مبادئ العلاج هي:

إذا شعرت بأن شخصاً نظر إليك نظرة مريبة وهو شخص حاقد وتخاف أن يجسدك، فاقراً قول الله سبحانه: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾^(٢) ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٣) ثم قم بفعل الآتي: توضأ وصل ركعتين، وبعد الانتهاء، وأنت جالس تضم كفك إلى بعضهما وتقول - بعد أن تنفخ في كفك وتواصل النفخ كلما أخذت نفسك وتقول - بسم الله الرحمن الرحيم - أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق وبراً - أعوذ بالله من الشيطان الرحيم - أعوذ بالواحد الأحد - حصنت نفسي بالله الواحد الأحد، وتقرأ الفاتحة - وقل هو الله أحد - وقل أعوذ برب الفلق - وقل أعوذ برب الناس» ثم تمسح بيدك على رأسك ووجهك وجسدك. وهذه هي الرقية الشرعية وهي مطلوبة من الإنسان أن يعملها، يعملها لنفسه، ويعملها لغيره، ففيها الشفاء بإذن الله.

أصاب الحسن والحسين أولاد السيدة فاطمة رضي الله عنهم جميعاً عين فاغتم رسول الله ﷺ فجاءه جبريل فقال: يا محمد، ما هذا الغم الذي أراه في وجهك؟ قال الحسن والحسين «أصابتهما عين» قال: صدق بالعين، فإن العين حق، أفلا عوذتكما بهؤلاء الكلمات؟ قال: وما هن يا جبريل؟ قال.. قل اللهم ذا السلطان العظيم، والمن القديم، ذا الوجه الكريم، ولي الكلمات الطيبات والدعوات المستجابات، عافِ الحسن والحسين من أنفس الجن، وأعين الإنسان. فقاها النبي ﷺ فقام الحسن والحسين يلعبان فقال رسول الله ﷺ: «عوذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ، فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله»^(٤) وقد روي أن سهل بن

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١ دار المعرفة بيروت عام ١٩٦٩.

(٢) سورة يوسف الآية: ٦٤.

(٣) سورة التوبة الآية: ١٢٩.

(٤) تفسير ابن كثير المرجع السابق.

حنيف اغتسل، وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد. فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم. ولا جلد غبأة كهذا؟؟ فلبط سهل فأتى رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله هل لك في سعد؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفيق، فقال: هل تتهمون فيه من أحد؟ قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيظ عليه وقال: علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت؟ ثم قال: اغتسل له، فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب الماء عليه، فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك، فراح سهيل مع الناس ليس به بأس^(١) يقول رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه فليبرك فإن العين حق»^(٢) وجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له: اشتكيت يا محمد؟ قال: نعم، قال: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس وعين حاسد، بسم الله أرقيك، والله يشفيك - باسم الله أرقيك»^(٣) وقالت أسماء بنت عميس: يا رسول الله، إن ابني جعفر تصيبهما العين أفأستلقيهما؟ قال: نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين»^(٤) وأقوى علاج من السحر هو الإيثار بالله - والاعتقاد عليه - وقراءة القرآن وعمل الرقية الشرعية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه. والمحافظة على الصلاة في أوقاتها، وقيام الليل للتهجد، والإكثار من الاستغفار وقت السحر والصبر وعدم الشكوى لأحد مما تشعر به - كن مع الله يكن الله معك - احفظ ما أمرك به الله يحفظك الله - وكن حسن الخلق، وثق أنه يحفظك ويدافع عنك، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.



(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي.